**المحاضرة الثالثة :**

# نصـــوص من خطـــب صدر الإســلام

بعد ظهور الإسلام صار النثر أداة الدعوة الأولى، وأداة الإسلام الأولى للتعليم وتوجيه شؤون الجماعة الإسلامية، وقد احتلت الخطابة مرتبة الصدارة فازدهرت ونمت في صدر الإسلام نموا عظيمًا، ولا غرو في ذلك فقد صارت الأداة القولية الفعالة في الدَّعوة، وفي تنظيم شؤون الدولة، وفي توجيه الجماعة الإسلامية. وارتبطت الخطابة بتأدية الشعائر الإسلامية، كخطبة الجمعة ويوم عرفة والعيدين وصلاة الاستسقاء والخروج إلى الجهاد. وكثيرًا ما نطالع في كتب السيرة والسنة، صعود النبي إلى المنبر يخاطب المسلمين في أمور شتى: أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر. وتُعدّ خطبة الوداع أشهر خطبه ، وسار الخلفاء الراشدون وولاتهم من بعده على هذا النهج . فما هي أهم الخصائص التي اكتسبتها الخطابة بعد ظهور الإسلام ؟ نضع فيما يلي نماذج من خطب صدر الإسلام وسنحاول أن نتبين من خلالها الخصائص اللغوية الأسلوبية ثم الخصائص الفكرية المضمونية:

**أولا : نصوص من الخطب :**

**أ-خطبة النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مهاجرا :**

-قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ... ، فَقَالَ" :

"إِنَّ الْحَمْدَ للَّه، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، نَعُوذُ باللَّه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهِ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ، إِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ، أَحِبُّوا مَا أَحَبَّ اللَّهُ، أَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللَّهِ وَذِكْرَهُ، وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبُكُمْ، فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُقُ اللَّهُ يَخْتَارُ وَيَصْطَفِي، قَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ خِيرَتَهُ مِنْ الْأَعْمَالِ، وَمُصْطَفَاهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَالصَّالِحَ مِنْ الْحَدِيثِ، وَمِنْ كُلِّ مَا أُوتِيَ النَّاسُ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَاصْدُقُوا اللَّهَ صَالِحَ مَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ أَنْ يُنْكَثَ عَهْدُهُ، وَالسِّلَامُ عَلَيْكُمْ."

**ب-خطبة أبي بكر الصديق :بعد أن بايعه المسلمون خليفة عليهم :**

"أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي، الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أَرُدَّ له حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِيَ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَا يَدَع قَوْمٌ الْجِهَادَ في سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذُّلِّ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّه وَرَسُولَهُ، فَإِنْ عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ."

**ج-خطبة عبدالله بن الزبير في دعوة أهل العراق لنصرة أخيه مصعب بن الزبير :**

«بسم الله الرحمن الرحيم طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (وأشار بيده نحو الشام) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِين، (وأشار بيده نحو الحجاز) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ، (وأشار بيده نحو العراق)"

**ثانيا : الخصائص اللغوية الأسلوبية :**

مع ذلك التحول الديني يظهر الخطباء المسلمون يتزعمهم النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا مفوها وبليغا أوتي جوامع الكلم ليبدأ فن الخطابة الإسلامية ،ولعل أهم خصائص الخطابة عند هم:

- ✓ بنية الخطبة : تتميز ببناء مخصوص لا نجده في خطب العصر الجاهلي ، فالبداية تكون بحمد الله والثناء عليه ، ثم يتعرض الخطيب للحديث الذي بنى خطبته عليه وصولا إلى خاتمة الخطبة عبارة موجزة مثل السلام عليكم .
- ✓ الوضوح والسهولة والخلو من الغموض والتعقيد أو مظاهر التكلف ،حيث إن الهدف هو الإفهام والإقناع ، فلم يقصد الخطباء إلى تعقيد لفظي ولا غموض تصوير أو إغراق في مجاز ،بل صيغت في تراكيب وجمل واضحة ناصعة الدلالة
- ✓ خلو الخطب من القصد إلى الألوان البديعية فلا سجع ولا جناس ولا طباقات متكلفة ، فلغتها أقرب إلى التقريرية والمباشرة ،وتستهدف توصيل المعاني . من منطلق الحرص على الأداء الوظيفي المرتبط بالإقناع .

- ✓ شيوع التكرار المتعمد ، وهو أسلوب متعمد يضمن السيطرة على الجمهور المتلقي وترسيخ الأفكار.
- ✓ اقتباس الآيات القرآنية أو الأحاديث الشريفة فقد أخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات القرآنية تمثلًا أو إشارة أو تهديدًا حتى لقد يجعلون الخطبة برمتها مجموع آيات، كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق وأراد أن يحرض أهله على الطاعة لأخيه عبد الله.
- ✓ الإيجاز وعدم التطويل .

*- **ثانيا : الخصائص المضمونية :**

- ✓ سيطر الطابع الديني على الخطب يشد أفكارها ويحيط بمعانيها ، فلا تكاد تنفلت من الإطار القرآني سواء عن طريق الاقتباسات ، أو طرح المعاني القرآنية .
- ✓ الحرص على الالتزام بمبادئ الدين الإسلامي ، وهو ما تجسد في حشد المادة الدينية وتكثيفها .
- ✓ ارتباط الخطابة في أغلب الأحيان بشؤون سياسية
- ✓ ترد الخطب غالبا وقد غلب عليها الإلحاح على سوق الحجة والبرهان .

**خاتمة :**

إن اجتماع الخصائص الأسلوبية الفنية بالخصائص المضمونية كان له عظيم الأثر في إقناع الناس والتأثير فيهم، فلم يكن الخطباء في صدر الإسلام مجرد خطباء يحترفون الخطابة بل كانوا أصحاب دعوة تغلغلت في نفوسهم فأشرقت على ألسنتهم بما أوتوا من فصاحة وبيان خطبا غاية في الإخلاص للدين ، فلا غرو أن يجدوا آذانًا صاغية وقبولًا حسنًا .

**مراجع المحاضرة :**

**ابن هشام:** السيرة النبوية، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1955.

**ابن كثير الدمشقي:** البداية والنهاية ،مطبعة السعادة، القاهرة.

**الجاحظ:** البيان والتبيين .